الفصل السادس

نشاطه في مجال العلم والبحث والأدب

- حركته الفكرية
- موسوعة الفقه الإسلامي
- نشاطه في ميدان الصحافة
- مؤلفاته وإنتاجه العلمي
- رأي السباعي في الشيعة
- السباعي رجل الحكمة
- السباعي الشاعر
- مكتبة الدكتور السباعي

حركته الفكرية:

الدكتور السباعي رائد فكر وقائد دعوة. . كان رحمه الله موسوعة فقهية واعية وعقلية نيّرة أنتجت مئات الأبحاث، وعشرات الكتب في مختلف الموضوعات الفقهية والفكرية، وزوّد المكتبة الإسلامية بثروة ضخمة وإنتاج متميز. .

يقول عنه الدكتور صبحي الصالح[1]: «عرفت السباعي المفكر، والمفكر الانسان، والانسان الواعي، وآنست من سعة أفقه، ورجاحة عقله، ومنهجية بحثه، ونظرته الموضوعية الشاملة إلى علوم الشريعة وحقائق الوجود ما أكبره في عيني، وأعظمه في نفسي وزاده لعمري هيبة، وكمالاً. .

إن حيوية السباعي المتكافئة مع أحداث العصر أنشأت لجيلنا الحاضر حركة فكرية أستطيع أن أسميها «حركة الوعي الديني» الذي ينظم ولا يرتجل، ويتأنى ولا يستعجل، ويضع الحلول لكل نازلة ولا يخضع للظروف القاهرة، ويسمو بالإسلام فوق جميع الاعتبارات ولا يتملق به اندفاعة الجماهير ولا سطوة الحكام، ويصطفي للقيادة والتوجيه رجال الفكر النير والمنطق السليم لا رجال الخرافة والأسطورة مهما يؤتوا من المظاهر الجوف، وأياً ما يلبسوا من مسوح الدجل والنفاق!.

---

(١) د. صبحي الصالح: مجلة حضارة الإسلام، الأعداد ٤، ٥، ٦، عام ١٩٦٤، ص١٦٧.

كان السباعي عدو الخرافة الأول في هذا الجيل، حاربها باليد والقلم واللسان وبكل ما وهبه الله من حيوية في البيوت والأسواق، وفي المساجد والجامعات.. حارب الخرافة في البيت إذ كان يريد أن يحيط البيت الإسلامي بضمانات التوازن الاجتماعي روحياً وقانونياً واقتصادياً، ويود أن تكون المرأة المسلمة في خليتها الاجتماعية العظمى جزءاً متمماً للرجل، لأنها مخلوقة من نفسه فلا بد أن ترتبط ارتباطاً مقدساً ليس فيه إلا الحب والمودة، والرحمة والحنان، وأصح مثال على ذلك كتابه «المرأة بين الفقه والقانون».

وحارب الخرافة في السوق حين قاوم جشع التجار المحتكرين، وأطلعهم على جوانب من التعاون الاقتصادي الإسلامي فيما سمّاه «اشتراكية الإسلام».

وحارب الخرافة في المسجد حين خاطب الناس على قدر عقولهم، مترفعاً بهم فوق اعتبارات السياسة أياً كان لونها، يبصرهم بأسرار الفقه وحكم التشريع، ويحملهم رسالة الإسلام الخالدة، ويبعثهم من مرقدهم إلى الواقع المرير.

وفي رحاب المدرسة ـ ولاسيما في حرم الجامعة ـ ظهرت حربه للخرافة أقوى ما تكون، فلما وسّدت إليه عمادة كلية الشريعة بجامعة دمشق جعل من تلك الكلية مصنعاً للرجال، فما يتخرج منها حتى اليوم إلا العالم الحق ذو البصيرة النيرة والفكر الحر الذي يتقي الله في علمه وعمله، ويستحيي من ربه أن يراه في موطن سوء، وأنشأ في تلك الكلية أعظم عمل إسلامي إذا قدّر له التمام عرف الناس قيمته العلمية الحقيقية: ألا وهو مشروع موسوعة الفقه الإسلامي.

وكـأنمـا أراد الله أن تكـون باكـورة عمله العلمي إرهاصاً للمدرسة الفكـرية الواعية التي يسّر لإنشائها في المجتمع الإسلامي، فقد كانت «السنة ومكانتها في التشريع» هي الرسالة التي تقدم بها رحمه الله لنيل الشهـادة العـالمية في جامعـة الأزهر الشريف، وفيها يبدو السباعي قمة شامخة بين قمم الفكر الموضوعي الرصين، إذ ردّ على بعض المستشرقين ومقلديهم فأفحمهم في كل ما أثـاروه من شبهات حول صحة الحديث النبوي وحجيته وصدق جامعيه ورواته من أعلام الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام الخالدين».

لقد كان السباعي رحمه الله شديد التحسس لأمراض مجتمعه مدركاً لكبرى مشكلاته متابعاً بعقله وقلبه لأهم قضاياه السياسية والاجتماعية. وكان وعيه الاجتماعي يزداد مع الأيام قوة وعمقاً وفهماً واستيعاباً.. لقد كان يتحسس أشـد التحسس ما يتهدد المجتمع الإسلامي في بلادنا العربية وفي غيرها من غزو عقائدي وما يدور في البيئات المثقفة وفي غيرها أحياناً من شبـه حول الإسـلام ومن افتـراءات وتشـويهـات دسها المستعمرون الأعداء، وكان يبصر ويشعر بمرارة ما ران على هذا المجتمع منذ عصور من مظالم اجتمـاعية تتحمـل وطأتها الكثرة الكاثرة من جماهير الشعب الساذج.. فارتسمت في ذهنه وفي نفسه صورة واضحة لكبرى مشكلاتنا الفكرية والاجتماعية والسياسية فانطلق يعالجها بثقافته الإسلامية العميقة الواسعة، وحسن فقهه للـدّين، وبحسّه المرهف وإخلاصه الشديد وعمله الدائب وجهاده المستمر، في الميادين الاجتماعية والسياسية والفكرية.

موسوعة الفقه الإسلامي:

كان السباعي رحمه الله طاقة جبارة لا تعرف الوقوف عند حد.. ولا

تعرف الاكتفاء بالعمل في ميدان واحد، فكان أمّة حيّة، دائبة النشاط والحركة والتوثب، والتطلع إلى أكبر الأهداف، وأسمى الغايات، فهو لم يكتف بتأسيس كلية الشريعة في الجامعة، وإنما كان يهدف لإحياء التراث الفقهي الإسلامي العظيم، وبعثه في قالب جديد، يلائم التطورات الاجتماعية والتشريعية الحديثة، فعمل ـ بالتعاون مع إخوانه الذين شاركوه في تأسيس كلية الشريعة ـ على إنشاء موسوعة للفقه الإسلامي تهدف إلى إحيائه وصياغته صياغة جديدة، وتبويبه وتصنيفه، على أحدث الأساليب المتبعة في أرقى الموسوعات العلمية والقانونية في العالم، لتكون مرجعاً لكل فقيه وعالم، ولتلبي حاجة التشريع، عندما تتهيأ الظروف لإقامة كافة تشريعات البلاد على أساس الإسلام. . وتعد هذه الموسوعة معجماً ضخماً أو دائرة معارف تضم في أجزائها العديدة أدق المعلومات الفقهية عن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الإسلام. .

وتحقيقاً لذلك ركب السباعي كل صعب، وبذل كل جهد، حتى أخرج المشروع إلى حيز الوجود. . وكان أول رئيس لهذه الموسوعة، التي جمعت خيرة العناصر العلمية والفقهية والقانونية في الجامعة، وباشرت عملها الكبير، ليحقق الغاية التي أنشئت الموسوعة من أجلها.

نشاطه في ميدان الصحافة:

لقد أدرك السباعي رحمه الله أهمية الصحافة كسلاح فعّال في يد الفكرة الإسلامية تستخدمه في توجيه وقيادة الرأي العام وتوعية الجماهير بأهدافها، فأنشأ لذلك جريدة «المنار» من ١٩٤٧ إلى ١٩٤٩ أي إلى قيام انقلاب حسني الزعيم الذي أوقفها، وظلت كذلك إلى أن تملك امتيازها الأستاذ بشير العوف الذي استأنف إصدارها باسمه كجريدة سياسية مستقلة.

وفي عام ١٩٥٥ وبعد أن عادت الأوضاع الشرعية والدستورية للبلاد، عاد السباعي إلى ميدان الصحافة من جديد، فأسس مع إخوانه جريدة «الشهاب» السياسية الإسلامية الأسبوعية، وكان المشرف على تحريرها وسياستها العامة، وقد استمر صدورها حتى قيام الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨ وتوقفت بعدها عن الصدور، بعد أن قامت بواجبها نحو قضايا الأمة العربية والإسلامية وقضايا الشعب السوري خلال أكثر من ثلاث سنوات خير قيام. وكان للسباعي فيها مقالات وبحوث روحية وفكرية واجتماعية وتاريخية وسياسية رائعة[٢].

وفي نفس العام ١٩٥٥ حصل الدكتور السباعي على امتياز بإصدار مجلة «المسلمون» بعد أن توقفت في مصر، وسار فيها على نفس الخطة التي عرفت لها من قبل، وظل رئيساً لتحريرها إلى سنة ١٩٥٨ حيث رأى تغيير اسم المجلة وتجديدها، فاختار لها إسم «حضارة الإسلام» الشهرية، التي أعطاها من جهده وفكره ما جعلها تشق طريقها بقوة ومضاء. ولقد أراد أن يجعل من هذه المجلة مدرسة للفكر الإسلامي الأصيل، توضح معالم الطريق، وتوحد مناهج التفكير، وتعكس حقيقة الإسلام الناصعة في صورة مشرقة واضحة.. كل ذلك بأسلوب مرن جذاب بعيد عن تعصب المتعصبين وجمود الجامدين، ودون حيدة عن طريق الحق وروح الشريعة الخالدة.

وظل السباعي قائماً على هذه المجلة حتى توفاه الله.. ثم واصلت الحضارة صدورها وجهادها في خدمة الإسلام، برئاسة الدكتور محمد

---

(٢) فتحي يكن: الموسوعة الحركية، ص١٤٦.
وهاني طايع.. مقابلة في ١٩٩٣/١٢/٢١.

أديب الصالح حتى توقفت في أوائل الثمانينات.

ولقد كانت الصحافة من الركائز الهامة التي أحسن السباعي استخدامها في معركة الدستور، فعن طريق «المنار» ـ جريدة الدعوة يومئذ ـ كان يحرك الجماهير بالكشف عن محاذير المسلك غير الإسلامي، وبافتتاحياته البليغة بل الساحرة كان يناقش المساندين لتجريد الدستور من اللون الإسلامي، باسم العلوم الدستورية، فيرد بالحجج القانونية التي ترد دعاواهم الباطلة التي توهم الجاهلين وأنصاف المتعلمين بصحة مزاعمهم، فتأتي هذه الافتتاحيات لتحيل ما بنوه في الهواء هباء منثوراً، وتستقطب كل يوم أفواجاً من المؤيدين للاتجاه الإسلامي، بعد أن كانوا من المعارضين له، أو المترددين بشأنه.

ولم يقف نشاطه الصحفي عند معركة الدستور وحدها، بل استمر مرافقاً له حتى اللحظات الأخيرة من حياته، إذ كان موقناً بأن الصحافة ـ إلى جانب المدرسة ـ أفعل الوسائل في الإصلاح والإفساد، وإذن فلا بد للفكر الإسلامي من صحافة تدافع وتهاجم وتنشر الوعي بين الجماهير، التي هي هدف التيارات الهدامة جميعاً، ويجب أن تكون قاعدة أساسية لكل عمل إسلامي صحيح[٣].

مؤلفاته وإنتاجه العلمي:

كان الدكتور السباعي موسوعة فقهية واعية وعقلية نيّرة انتجت مئات الأبحاث، وما يزيد على عشرين كتاباً[٤] في مختلف الموضوعات الفقهية والفكرية، وقد زوّد المكتبة الإسلامية بثروة ضخمة وانتاج يتميز عن كثير

---

(٣) محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفته، ص٣٩٨.

(٤) الزركلي: الأعلام جـ٧، ص٢٣٢.

مما يؤلف ويكتب. . فهو عصارة تجريبية لعالم واسع الثقافة، وداعية عرف المجتمع ومشكلاته، فكتب عن علم وخبرة وتجربة وتفكير عميق. . ومن أهم هذه الكتب:

١ ـ «شرح قانون الأحوال الشخصية». . ويعتبر هذا الكتاب موسوعة علمية في موضوعه، ويتكون من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول منها في أحكام الزواج. والجزء الثاني في أحكام الأهلية والوصية. والجزء الثالث في أحكام المواريث(٥).

وقد امتاز كتابه هذا بجودة العرض وإحكام البناء، ودقة البيان، كما امتاز بروح موضوعية متجردة نزيهة، بأسلوب عصري جذاب.

٢ ـ «من روائع حضارتنا». . وهو خلاصة لأجمل ما في تاريخنا من منازع إنسانية وسمو أخلاقي ومؤسسات حضارية. . تحدث فيه السباعي عن الآثار الخالدة لحضارتنا في العقيدة والدين، والفلسفة والعلوم، واللغة والأدب، والتشريع، ومفهوم الدولة وعلاقة الشعب بالحكومة. . كما تحدث فيه عن إفلاس الحضارة الغربية التي سقطت في مستنقع النفعية والوثنية.

٣ ـ «المرأة بين الفقه والقانون». . وهو محاضرات ألقاها على طلاب كلية الشريعة ثم جمعت في كتاب، تحدث فيه عن تطور حقوق المرأة عبر التاريخ، وعن المرأة في الحضارة الغربية. وتحدث عن وضع المرأة المسلمة عبر التاريخ، وعن الأحوال الشخصية والحقوق السياسية للمرأة.

٤ ـ «عظماؤنا في التاريخ». . وهو دراسة للشخصيات الإسلامية لفهم الدروس المستفادة من سيرتها. . تحدث فيه الأستاذ السباعي عن النبي

---

(٥) عبدالعزيز الحاج مصطفى: كتاب مصطفى السباعي رجل فكر. . ، ص٦٠.

ﷺ، وعن نواحي الكمال المطلق في شخصه الكريم، الذي نستمد منه كل نواحي العظمة والقدوة الكاملة. وتحدث عن الخلفاء الأربعة، وأظهر أهم نواحي عظمة كل واحد منهم، كما تحدث عن عدد من الصحابة، الذين استمدوا عظمتهم من نبي الإنسانية عليه صلوات الله وسلامه. وحمل الجميع على التأسي بسيرة هؤلاء العظماء الذين لم يشهد لهم تاريخ الانسانية مثيلاً من قبل.

٥ ـ «القلائد من فرائد الفوائد».. وهو عبارة عن كلمات اختارها لمجلة الحضارة، مما قرأ وطالع، لأن الجيل المسلم في حاجة إلى هذه المعرفة من العلوم والآداب واللغة والتاريخ. ثم جمعها في هذا الكتاب.

٦ ـ «دروس في دعوة الإخوان».. هذا الكتاب دروس لشباب الدعوة ليتربوا عليها، ويكونوا على بيّنة بمهام دعوتهم وأهدافها.

٧ ـ «السُّنة ومكانتها في التشريع».. هذا الكتاب ألفه السباعي أطروحة للدكتوراه ونال به شهادة الأستاذية من الأزهر[٦]، وخاض فيه الميدان دفاعاً عن دعوة الإسلام وشريعته.. وقد توافرت له القدرة على البحث العلمي وتتبع الأمور في مظانها، بجانب الغيرة الصادقة على دين الله.. إن هذا الكتاب صورة حية لهتين المكرمتين، فنجد فيه أن المضمون منطبق تمام الانطباق على العنوان.. وقد ردّ فيه على بعض المستشرقين ومقلديهم فأفحمهم في كل ما أثاروه من شبهات حول صحة الحديث النبوي وحجيته وصدق جامعيه ورواته..

وبطريقة منهجية جامعة فنّد آراء المخالفين قديماً وحديثاً، كما ردّ

---

(٦) محمد المبارك: مجلة حضارة الإسلام ـ الأعداد ٤، ٥، ٦، عام ١٩٦٤، ص١٨.

على شبه المعتزلة والرافضة والمستشرقين وتلامذتهم من العرب المنحرفين أمثال «أبي ريّه». . وكشف بالروح العلمية المنصفة مواقعهم وما وراء اتجاهاتهم من جهل وتزوير، فكان موقفه في ذلك كله موقف العالم الداعية المجاهد، الذي يقدم لك الفكرة، مؤيداً ما يجنح إليه بالحجة. . ونلمس من بحثه الغيرة الصادقة على السنة أن يعدى عليها باسم العلم وتحت عناوين المعرفة.

وقد أصبح هذا الكتاب من أهم المراجع العلمية في موضوعه، ومن أمضى الأسلحة في الدفاع عن السّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لكل باحث وعالم وطالب علم.

٨ ـ «هكذا علمتني الحياة». . يتكون هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء، وهو عبارة عن خواطر بدأ الدكتور السباعي كتابتها وهو في مستشفى المواساة بدمشق عام ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م. . فجاءت صورة صادقة عن تفكيره خلال بضعة شهور قضاها منقطعاً عن الناس ما بين المستشفى والبيت. . وهذه الخواطر هي خلاصة تجاربه في الحياة. . فالحكم التي ضمّنها هذا الكتاب القيم حكم عملية واقعية عاشها الشيخ السباعي، بكل جوارحه وأحاسيسه وآلامه وآماله. .

إن هذا الكتاب يمثل عصارة الفكر والروح في كل حكمة من حكمه وكلمة من كلماته وحرف من حروفه، لأنك تقرأ تحت ذلك كله تاريخاً حافلاً من العمل الدائب، والعاطفة المشبوبة، والشجاعة المفرطة، والرجولة المستعلية، والتجربة الصادقة، والصبر الجميل.

٩ ـ «اشتراكية الإسلام». . وهو محاضرات ألقيت على طلاب الشريعة في جامعة دمشق ثم جمعت في كتاب. وقد استغلت بعض

الجهات هذا الكتاب، فطبع منه في مصر ـ أيام عبدالناصر ـ مئات الآلاف من النسخ، ووزع على القوات المسلحة، وفي مختلف الأوساط، وأطلقوا لإذاعتهم العنان تقتطف منه ما يتفق مع أهواء الحكام. وقد أثار هذا الاستغلال سخط المؤلف في حينه، فوجّه إلى القائمين به تقريعاً لاذعاً قرأه الألوف في الصحف السورية..

يقول الشيخ محمد المجذوب عن الكتاب[٧]: «إن قارىء الكتاب في روية وتجرد لا يجد أي صلة بين مضمونه وأي من المذاهب الاشتراكية المعروفة في العالم، وليس له صلة بالاشتراكية خارج نطاق العنوان، الذي كان ضرباً من المشاكلة اللفظية. وإنما اختار له ذلك العنوان اجتذاباً لأذهان الجيل، الذي زينت له الاشتراكية حتى باتت في نظره هي الحلم السعيد، فكل حديث عن عدالة الإسلام وتفوقه على المحاولات البشرية، كان لا يجد أذناً مصغية إذا لم يحمل إشارة إلى ذلك الإطار السحري.. أما مضمون الكتاب فبحث علمي في الحياة الانسانية، وما يحيط بها من مشكلات للفرد والمجتمع، وما أنزل الله من الحلول لكل معضلة منها، على الوجه الضامن للتوازن، المحقق للمصلحة والأمن، وعلى صورة من الدقة لا تحلم ببعضها عقول المفكرين في سائر العصور، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

والسباعي في كتابه هذا يعالج الأوضاع البشرية على ضوء الشريعة الإسلامية بعقلية العالم المجتهد الذي يحاول استنباط الحل من منابع الوحي دون تعصب لمذهب بعينه، وينقب في صفحات التاريخ عن المثل التطبيقية التي برز هذا الحل من خلالها، وما أحسب ناقداً بقادر على أن

---

(٧) محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم، ص٤٠٦.

يدل على حكم واحد قال به المؤلف لا يعتمد فيه على أصل من الكتاب أو السنة أو التطبيق السليم من عصور السيادة الشرعية، وقولنا هذا لا يعني أننا ندعي له العصمة من الخطأ، بل نقول بأن كل خطأ صدر منه في أثناء ذلك لا يعدو حدود الاجتهاد، الذي يؤجر صاحبه على كل حال إن شاء الله. ولعل أكبر أخطائه تلك يتمثل في العنوان الذي وجد فيه المضللون كل مسوغات الاستغلال».

ولقد تعرض كتاب «اشتراكية الإسلام» للنقد وخاصة «عنوان الكتاب»، وصدرت ردود عليه، منها ردّ الشيخ الجليل محمد الحامد.

السباعي.. والشيخ الحامد: كان السباعي رحمه الله صديقا للشيخ محمد الحامد وكانا متحابين في الله عز وجل، وقد سكنا معاً في أثناء فترة الدراسة في الأزهر الشريف. وكان للسباعي مسامرات ومحاورات تفيض ذوقاً وعذوبة نفس مع صديقه الصفي الشيخ الحامد.. قال له مرة على أثر نكتة ألقاها الحامد: يا شيخ محمد لولا هذه النكت البديعة التي تلقيها لما كنت تطاق! إذ كان عند الشيخ الحامد شدة في الحق[٨].

ولما كتب الشيخ السباعي كتابه «اشتراكية الإسلام» أحدث ضجة واستغله دعاة الاشتراكية فأخذوا يقرؤونه من الاذاعة.. وكتب الشيخ الحامد رداً على الكتاب أرسله مع بعض تلاميذه للشيخ السباعي، وقد التزم مع أخيه الأدب وكان يعلم منه الاخلاص والعلم، ثم نشر الرد في كتاب «نظرات في كتاب اشتراكية الإسلام». وكان في رده في غاية الأدب والرفق مع قول الحق والدفاع عنه[٩].

---

(٨) الشيخ عبدالحميد الأحدب.. مقابلة معه في ١٢/٢/١٩٩٤.

(٩) د. محمد أديب الصالح: مجلة حضارة ابلاسلام ـ الأعداد ٤، ٥، ٦، عام ١٩٦٤ ص١٠٨.

وللسباعي مجموعة كتب أخرى، هي:

١٠ ـ أخلاقنا الاجتماعية ١١ ـ أحكام الصيام وفلسفته.
١٢ ـ الدين والدولة في الإسلام ١٣ ـ نظام السلم والحرب في الإسلام.
١٤ ـ هذا هو الإسلام ١ ـ ٢ ١٥ ـ السيرة النبوية دروس وعبر.
١٦ ـ الاستشراق والمستشرقون ١٧ ـ المرونة والتطور في التشريع الإسلامي.
١٨ ـ منهجنا في الإصلاح ١٩ ـ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في التاريخ.

وقد طُبعت كتب الدكتور السباعي عشرات المرات، وانتشرت في بلدان كثيرة من عالمنا العربي والإسلامي، وهي تعتبر من أهم المراجع لطلاب وأساتذة الجامعات وغيرهم من طلاب العلم.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن فترة مرضه رحمه الله كانت من أخصب أيام حياته وأكثرها إنتاجاً من الناحية العلمية، وبركة في عمله العلمي.. فكانت هي فترة التأليف التي خرجت فيها أكثر تآليفه من خلال تلك السنين التي أثقله فيها المرض. وقد واصل الكتابة حتى آخر يوم في حياته.. يقول الدكتور محمد أديب الصالح: «كان رحمه الله حريصاً كما علمت منه قبل وفاته بيوم واحد على كتابة مؤلفات ثلاث، هي: العلماء الأولياء، والعلماء المجاهدون، والعلماء الشهداء».

رأي السباعي في الشيعة:

للسباعي رأي مبكّر بالشيعة، مبني على الاطلاع والمعرفة واللقاء والممارسة.. فقد ناقش آراء الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى، في بحث طويل قارن فيه بين آرائهم وآراء السّنة.. وفنّد هذه الآراء في كتابه القيم

«السّنة ومكانتها في التشريع» . . وكان مما قاله[١٠]:

بعد وفاة الرسول ﷺ حدث خلاف بين الصحابة فيمن يتولى الخلافة . . ولو بقي الخلاف محصوراً بينهم لبقي مطبوعاً بطابعهم من حسن الأدب واحترام الصحبة . . ولكن دسائس خصوم الإسلام في هذه المعارك الخلافية، أضاف إلى تاريخ هؤلاء الصحابة كلاماً لم يقله بعضهم في حق بعض. ووجدت هذه النقول المكذوبة آذاناً صاغية عند جمهور الشيعة، بل إن أول من تطاول على الصحابة وملأ المجالس بالأحاديث المكذوبة عليهم وفي حق عليّ وفضله، هم الشيعة باعتراف المحققين . . فجمهور طوائف الشيعة ـ ونعني بهم من ظلوا في دائرة الإسلام ـ يجرحون أبا بكر وعمر وعثمان ومن شايعهم من جمهور الصحابة، ويجرحون عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن انغمس معهم في اغتصاب الخلافة من علي، وبالأحرى إنهم يجرحون جمهور الصحابة إلا نفراً ممن عرفوا بولائهم لعليّ رضي الله عنه . . والقاعدة العامة عندهم أن من لم يوال علياً فقد خان وصية الرسول، ونازع أئمة الحق، فليس أهلاً للثقة والاعتماد . . وقد خالف جمهور الشيعة في هذا الرأي فريق منهم، وهم الزيدية القائلون بتفضيل عليّ على أبي بكر وعمر، مع الاعتقاد بصحة خلافتهما والإشادة بفضلهما.

أما جمهور المسلمين فقد حكموا بعدالة الصحابة جميعاً، سواء منهم من كان قبل الفتنة أو بعدها، وسواء منهم من انغمس فيها أو جانبها، ويقبلون رواية العدول الثقات عنهم.

وكان من آثار هذا الاختلاف في النظر إلى الصحابة أن هوجمت السّنة

---

(١٠) د. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع، ص١٣٠.

التي جمعها الجمهور وحقّقها أئمتهم ونقادهم، منذ عصر الصحابة حتى عصر الجمع والتدوين، من قِبل الشيعة التي وصمت أحاديث الجمهور بالكذب والوضع وخاصة ما كان منها في فضائل الصحابة الذين بخاصمهم جمهور الشيعة، ولم يقبلوا من أحاديث أهل السنة إلا ما وافق أحاديثهم التي يروونها عن أئمتهم المعصومين في نظرهم، وبذلك حكموا على أحاديث بالوضع هي عند الجمهور من أرقى طبقات الصحيح.

وقد انغمس الشيعة في رذيلة الكذب على رسول الله ﷺ، فوضعوا أحاديث تخدم (مذهبهم) مثل حديث (غديرخم)، كما بدّلوا ألفاظ بعض الأحاديث.

كما بيّن السباعي أثر آراء الشيعة في تعميق الخلاف فقال[11]:

إن السّنة الصحيحة لقيت من عنت الشيعة والخوارج عناء كبيراً، وكان لآرائهم الجامحة في الصحابة أثر كبير في اختلاف الآراء والأحكام في الفقه الإسلامي، وفيما أُثير حول السنة من شُبه. وما زالت آراء الشيعة في الصحابة تثير الفتن حتى أيامنا هذه. فالشيعة وقفوا من صحابة رسول الله ﷺ موقف العداء والبغض الذم، ووصل الأمر بأكثر فرقهم إلى تكفير جمهور الصحابة بما فيهم أبو بكر وعمر وسعد وخالد وغيرهم. وهم يبغضون كل من لم يسلم لعلي رضي الله عنه بإمارة المؤمنين بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وقد اتصل السباعي بعدد من علماء الشيعة في لبنان وغيرها وناقشهم وحاول التقريب وإزالة أسباب الفرقة، وهو يقول:

إن السبب الذي بدأت به الفرقة ـ بين السّنة والشيعة ـ هو النزاع حول

---

(١١) د. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع، ص٨، ص٣٦٠.

الأحق بالخلافة ورئاسة الدولة، ولم يعد هذا موجوداً في عصرنا الحاضر، فقد أصبحنا جميعاً تحت سلطة المستعمرين، فلم يبق لنا ملك نتقاتل عليه، ولا خلافة نختلف من أجلها، وذلك ما يقتضي جمع الشمل وتقريب وجهات النظر، وتوحيد كلمة المسلمين على أمر سواء، وإعادة النظر في كل ما خلفته تلك المعارك من أحاديث مكذوبة على صحابة رسول الله وأصفيائه، وحملة شرعه وحاملي لوائه.

وقد بدأ علماء الفريقين في الحاضر يستجيبون إلى رغبة جماهير المسلمين في التقارب، ودعوة مفكريهم إلى التصافي، وأخذ علماء السنة بالتقريب عملياً، فاتجهوا إلى دراسة فقه الشيعة ومقارنته بالمذاهب المعتبرة عند الجهور، وقد أدخلت هذه الدراسة المقارنة في مناهج الدراسة في الكليات وفي كتب المؤلفين في الفقه الإسلامي.. وإنني شخصياً ـ منذ بدأت التدريس في الجامعة ـ أسير على هذا النهج في دروسي ومؤلفاتي.

ولكن الواقع أن أكثر علماء الشيعة لم يفعلوا شيئاً عملياً حتى الآن، وكل ما فعلوه جملة من المجاملة في الندوات والمجالس، مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى من كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار، بل إن بعضهم يفعل خلاف ما يقول في موضوع التقريب، فبينما هو يتحمس في موضوع التقريب بين السنة والشيعة، إذا هو يصدر الكتب المليئة بالطعن في حق الصحابة أو بعضهم ممن هم موضع الحب والتقدير من جمهور أهل السنة.

ولا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة، لا تقريب

المذهبين كل منهما إلى الآخر.

وهناك كتب لعلماء الشيعة تطبع في العراق وإيران، وفيها من التشنيع على عائشة أم المؤمنين وعلى جمهور الصحابة ما لا يحتمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير، مما يذكّر الناس بآثار الماضي ويؤجج نيران التفرقة من جديد.

وقد وجّه الدكتور السباعي دعوة إلى المخلصين من علماء الشيعة، وفيهم الواعون الراغبون في جمع كلمة المسلمين، ليواجه الجميع المشاكل التي يعانيها العالم الإسلامي اليوم، من انتشار الدعوات الهدامة، التي تجتث جذور العقيدة من قلوب شباب السّنة وشباب الشيعة على السواء.

وكرّر السباعي دعوته بوضع أسس التقارب الصحيح العملي لا القولي.. وفي مقدمة ذلك الاتفاق على تقدير صحابة رسول الله ﷺ الذين على أيديهم انتقل هذا الدين إلينا، وبواسطتهم أخرجنا الله من الظلمات إلى النور.

السباعي رجل الحكمة:

كان السباعي شخصية لامعة جامعة.. وكان طاقة جبارة من النشاط المتوقد الذي لا يعرف الملل ولا الفتور.. فليس غريباً أن يخوض الميادين المختلفة، وينجح ويتفوق في كل هذه الميادين.

كان رحمه الله عذب النفس، رقيق الحاشية، مرهف الذوق.. حباه الله موهبة كريمة، وفطرة سليمة، فغذاها بالعلم وزكاها بالفضائل..

كان صاحب رأي سديد وفكر مستنير وعقلية متفتحة، تنطق بالحكمة وبالموعظة الحسنة.

دوّن الكثير من أفكاره وخواطره وتجاربه في كتاب سمّاه «هكذا علمتني الحياة»، وقرأ الكتاب كثير من الناس، فلم يختلف في روعته وسداده قارئان..

يقول السباعي في مقدمة هذا الكتاب[١٢]: «إن هذه الخواطر هي خلاصة تجاربي في الحياة، لم أنقل شيئاً منها من كتاب، ولا استعنت فيها بآراء غيري من الناس، وأعتقد أن من حق الجيل الذي يأتي بعدنا أن يطلع على تجاربنا، وأن يستفيد من خبرتنا إذا وجد فيها ما يفيد، وهذا خير ما نقدمه له من هدية، إننا لا نستطيع أن نملي عليه آراءنا إملاء، وليس ذلك من حقنا، وإنما نستطيع أن نقدم له النصح والموعظة، وخير النصح ما أعطته الحياة نفسها وأبلغ الموعظة ما اتصل بتجارب الحياة ذاتها. والناس وإن اختلفت مشاربهم وعقولهم وطباعهم، فإنهم يلتقون على كثير من حقائق الحياة، ويجتمعون على كثير من الرغبات والحاجات والأهداف.

وإني إنما أقدم هذه التجارب لمن عاش في مثل تفكيرنا وأهدافنا ومطامحنا ومقاييسنا فهؤلاء الذين ينتفعون بها، أما الذين يخالفوننا في العقيدة أو الاتجاه قلّ أن يستفيدوا منها، ولا أعتقد أنهم يستطيعون الصبر على كثير مما جاء فيها من خواطر وأفكار، فمن أجل أولئك نشرت ما كتبت. أما هؤلاء المخالفون لنا في الاتجاه والنظرة إلى حقائق الحياة ومشكلاتها، فكل ما أرجو أن يستمعوا إليه، وأن يقرؤوه على أنه يمثل وجهة نظر في مشاكل مجتمعنا الذي نعيش فيه، ولا سبيل إلى انصاف مخالفك في الرأي إلا أن تستمع إليه وترى ما عنده، فقد تجد فيما تسمع إن كنت طالباً للحق ـ بعض الصواب الذي كنت تظنه خطأ وبعض الحق الذي كنت تراه باطلاً.

(١٢) د. مصطفى السباعي: هكذا علمتني الحياة، ص٥.

إنني لست في هذه الخواطر فيلسوفاً ولا حكيماً ولا مفكراً بعيد الغور في الوصول إلى الحقائق، ولكنني صاحب تجارب عملية في الحياة استغرقت من عمري أكثر من ربع قرن، وقد أحببت نقلها إلى من ينتفعون بما نكتب ويتأثرون بخطانا فيما نفكر، وليس يهمني أن أبدو في نظرهم متفلسفاً، أو أديباً متأنقاً، وإنما يهمني أن أبدو لهم أخاً مرشداً ناصحاً يقول ما يفهمون، ولا يعنتهم في تدبر ما يقرؤون».

مختارات من حكمه ومواعظه[١٣]:

«من أمراض هذه الحضارة»

١ ـ من مفاسد هذه الحضارة أنها تسمّي الاحتيال ذكاء، والانحلال حرية، والرذيلة فناً، والاستغلال معونة.

«خرافة الشعارات»

٢١ ـ من أكبر الخرافات التي تروّج في عصرنا الحاضر أن تسمّى دكتاتورية الحكم بالديمقراطية، وإفقار الشعب بالاشتراكية، وانحلال الأخلاق بالتقدّمية.

«ميادين الاختبار»

٥٧ ـ في المآزق ينكشف لؤم الطباع، وفي الفتن تنكشف أصالة الرأي، وفي الحكم ينكشف زيف الأخلاق، وفي المال تنكشف دعوى الورع، وفي الجاه ينكشف كرم الأصل، وفي الشدة ينكشف صدق الأخوّة.

---

(١٣) تم تسجيل هذه المختارات بأرقامها التي وردت في كتاب «هكذا علمتني الحياة».

«الاستقامة»

٧١ ـ الاستقامة طريق أولها الكرامة، وأوسطها السلامة، وآخرها الجنة.

«حين تخلو الساحة»

١٥٩ ـ حين تخلو الساحة من الأبطال، يتمنطق بالسلاح كل جبان خوار. . وحين تخلو من الزعماء، يتصدى للقيادة كل سفيه غرير. . وحين تخلو من الأمناء، يتظاهر بالوفاء كل خوان حقير. . وحين تخلو من الحكماء، يدعي الفلسفة كل جاهل مغرور. . وحين تخلو من المجاهرين بالحق، يصول فيها كل طاغية لئيم.

«للنجاح في معترك السياسة»

٢٠٢ ـ سلامة القلب، ونظافة اليد، وصحة العقيدة، واستقامة الأخلاق. . لا تكفي وحدها للنجاح في معترك السياسة، ما لم يضف إليها ألمعية الذهن، ومرونة العمل، وحرارة الروح، وتفهم مشكلات المجتمع وطبائع الناس.

«أساس نكبة أمتنا»

٢٠٤ ـ أساس نكبة أمتنا في القديم والحديث: حكامها الظالمون، وأذكياؤها المنافقون، وعلماؤها الغافلون.

«حوار مع السعادة»

٢٠٥ ـ قيل للسعادة أين تسكنين؟ قالت: في قلوب الراضين.

قيل: فبِمَ تتغذين؟ قالت: من قوة إيمانهم.

قيل: فبِمَ تدومين؟ قالت: بحسن تدبيرهم.

قيل: فبِمَ تُستجلبين؟ قالت: أن تعلم النفس أن لن يصيبهاإلا ما كتب الله لها

قيل فبِمَ ترحلين؟ قالت: بالطمع بعد القناعة، وبالحرص بعد السماحة، وبالهمّ بعد السرور، وبالشك بعد اليقين

«بم فتحنا الدينا»

٥٤٥ ـ نحن لم نفتح الدنيا بأمهات ماجنات متحلّلات، ولكننا فتحناها بأمهات عفيفات متدينات. ولم نرث خلافة الأرض بأدب الجنس الشره الجائع، ولكننا ورثناها بأدب الخلق الثائر والتهذيب الوادع.

«حبان لا يجتمعان»

٦٦٦ ـ حبّان لا يجتمعان في وقت واحد..

حب الله، وحب المعاصي. حب الجهاد، وحب الحياة.

حب التضحية، وحب المال. حب الحق، وحب الرئاسة.

حب السلام، وحب الانتقام. حب الإصلاح، وحب السلامة.

حب الكفاح، وحب الراحة. حب العدل، وحب الاستبداد.

حب الشعب، وحب الطغيان. حب الخير، وحب الخداع.

«كارثة اجتماعية»

٧٧٧ ـ خمسة يعتبر موتهم كارثة اجتماعية: الحاكم الصالح في قوم فاسدين، والعالم الناصح في قوم جاهلين، والمصلح المخلص في قوم غافلين، والقائد الشجاع في قوم متخاذلين، والحكيم الشيخ في أحداث طائشين.

أحباء الله

إن لله عباداً قطعوا علائق الشهوات ، وأسرجوا مراكب الجدّ بصدق العزمات وامتطوا جياد الأمل ، واتجهوا إلى الله على وجل ، وتزودوا إليه بصالح العمل ، مع إخلاص النيّة وتوسّلوا إليه بصفاء القلب وصدق الطوية ، فمروا بالخضرة الفاتنة مسبحين ، وبالحطب اللاهب مستعيذين ، ولم يعبؤوا بالعقبات ، ولم يلتفتوا إلى المغريات ، قد صانوا وجوههم عن الابتذال ، وطهروا أقدامهم من الأوحال ، استعانوا بالله على مشقّة الطريق فذلّل لهم صعابه ، وعلى بعد المدى فلملم لهم رحابه ، فلمّا اجتازوا الصعاب ، سألوا الله ففتح لهم بابه ، فلمّا دخلوه استضافوه فقربهم ورفع دونهم حجابه ، فلما استطابوا المقام بعد طول السرى قالوا : « الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » أولئك أحباء الله ، صدقوه لعهد فصدقهم الوعد ، ومحضوه الحبّ فمنحهم القرب .

مصطفى السباعي

«شر الفقر»

٧٨٩ ـ شر أنواع الفقر أربعة: الفقر في الدين، والفقر في العقل، والفقر في الصبر، والفقر في المروءة.

«إنابة»

إذا نزل بك ما لا تملك دفعه فأقلل من الشكوى وأكثر من الدعاء.

«أصالة المجد»

من لم تسر في عروقه دماء المجد لا يمكن أن ينشىء مجداً، ومن لم يتسلل من جباه مرتفعة لم يستطع أن يرفع رأساً إلا في غفلة الشرفاء.

«القلب الكبير»

لا تنقل أحزانك إلى أطفالك، بل دعهم يعيشون المرحلة الوحيدة التي لا يعرفون فيها هموماً ولا أحزاناً. ولا تنقل أحزانك وآلامك إلى الناس فلكل إنسان من أحزانه وآلامه ما ليس معه مزيد لتحمل آلام وأحزان أخرى.

«تهمة ظالمة»

يا جيل النكبة في فلسطين! أساءوا الوصاية عليك فلما أصبحت شريداً زعموا أنك سيّىء الأخلاق.. هل كان ذلك إلا من سوء تصرفهم وخيانة أمانتهم؟

«مجتمع المؤمنين»

ما أجمل الحياة بين قوم يتحابون في الله! لا طمع ولا شكّ ولا هجر ولا عبوس.. ولكنه إيثار وثقة ووصال وابتسام.

ومن روائع كلماته رحمه الله في المواعظ والحكم[١٤]:

● خلوة ساعة بينك وبين ربك، قد تفتح لك من آفاق المعرفة، ما لا تفتحه العبادة في أيام معدودات.

● لا تكتمل الرجولة إلا بثلاث: ترفّع عن الصغائر، وتسامح مع المقصرين، ورحمة بالمستضعفين.

● إذا همّت نفسك بالمعصية فذكرها بالله، فإذا لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال، فإذا لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا علم بها الناس، فإذا لم ترجع فاعلم أنك تلك الساعة قد انقلبت إلى حيوان.

● إذا أمدّك الله بالنعم وأنت على معاصيه فاعلم بأنك مستدرج، وإذا سترك فلم يفضحك فاعلم أنه أراد منك الاسراع في العودة إليه.

● ثلاث احرص على صحبتهم: عالم متخلق بأخلاق النبوة، وحكيم بيضت فوديه ليالي التجربة، وشهم له من مروءته ما يحمله على نصحك إذا أخطأت، وإقالتك إذا عثرت، وجبرك إذا انكسرت، والدفاع عنك إذا غبت، والإكرام لك إذا حضرت.

●احذر الحقود إذا تسلط، والجاهل إذا قضى، واللئيم إذا حكم، والجائع إذا يئس، والواعظ المتزهد (الذي يتظاهر بالزهد) إذا كثر مستمعوه.

● لأن تحسن الظن فتندم، خير من أن تسيء الظن فتندم.

السباعي الشاعر:

لقد عرف الناس السباعي قائداً مجاهداً، ومرشداً مربياً، وعالماً

---

(١٤) مجلة حضارة الإسلام ـ الأعداد ٤، ٥، ٦، عام ١٩٦٤، ص٢٩.

فقيهاً، وخطيباً ناثراً، ومفكراً حكيماً، وسياسياً صادقاً. . في كل فترة من فترات حياته. . أما الشعر فلم يعرف عنه إلا في السنوات الأخيرة من حياته. . السنوات التي كان يعاني فيها من شدة المرض. . فجاء شعره في هذه الفترة مناجاة. . وتضرعاً ودعاء. . ينطق بالحكم ويحمل روح الداعية الذي يشكو عنت الزمان والأحداث.

والحقيقة أن السباعي قال الشعر منذ يفاعته. . قاله في الدعوة إلى الإسلام، وقاله في الأحداث السياسية التي مرّ بها وطنه. ولكن انشغاله بالجهاد والتربية، وبالعلم والفقه، وبالكفاح الدائب في شتى الميادين جعله من الشعراء المقلّين[١٥].

وقد اخترنا من شعره ثلاث قصائد لتكون في هذا الكتاب:

الأولى: قصيدة بعنوان «طريقي»، وهي لم تنشر في حياة الدكتور السباعي وإنما نشرت بعد وفاته في مجلة حضارة الإسلام. وهو في هذه القصيدة يصف أصناف الناس ومسالكهم.

والثانية: قصيدة بعنوان «رويدك»، وردت في كتاب «هكذا علمتني الحياة».

والثالثة: قصيدة بعنوان «وداع راحل»، نظمها في ساعة من ساعات اشتداد الألم، وبعد أن صارحه الأطباء بيأسهم من شفائه، ففاضت نفسه المؤمنة الراضية بهذه الأبيات التي يودع فيها وداع مفارق أهله وأحباءه وذويه.

---

(١٥) حسني جرار: شعراء الدعوة الإسلامية جـ٢ (بالاشتراك)، ص٣٨.

«طريقي»[١٦]

دعيني وشأني ليس عذري بشافع
لديك ولا حالي يعنّ ببالك
وهل يلتقي طيران: هذا محلّق
تروم جناحاه سماء ملائك
وذاك مُسفٌ عائمٌ فوق جيفة
على الأرض تدنيه لوطء سنابك
وكم بين من يمشي بصيراً بدربه
تضيء له الأقدار وعر المسالك
وبين عَمٍ لا يهتدي لطريقه
يُحاط بحجب مظلمات حوالك
وشتّان ما بين الخليّ من الهوى
وبين محبٍّ مدنف الجسم ناهك
وأنّى يُداني عاقلاً ذا حصافة
جهولُ سفيه هالكٌ وابن هالك؟
دعيني ففي دنياي همٌّ ومحنة
وقطعُ طريق في المفاوز شائك
وحلٌّ وترحال وحرب وهدنة
وتعليمُ أستاذ وعزلة ناسك
ودنياك، ما دنياك؟ وهمٌ وخدعة
وسعيٌ حثيث نحو شتّى المهالك

---

(١٦) مجلة حضارة الإسلام ـ الأعداد ٤، ٥، ٦، عام ١٩٦٤، ص١٧٠.

وفي يسرها ضنك وفي عزّها ضنى
تثير لأدنى الشيء أقسى المعارك
إذا كنتِ عن دنياكِ ترضين إنني
سعيد بدنيا الخير لست بفارِك
فإن تسخري مني فلست بساخرٍ
وإن تضحكي مني فلست بضاحك
هُمُ الناس بين اثنين: صيد تشوقهم
معارِكُ في ساح الهدى، وصعالك
دعيني أعيش العمر في غربة الهوى
ففي الحق محرابي وفيه مناسكي
وفي النصح لذّاتي في الخير ثروتي
وفي العلم محراثي وفيه سبائكي

«رويدك!»[١٧]

ومنتظر موتي ليشفي غيظه
رويدك إنّ الموت أقرب موعدِ
كلانا سيلقى الله من غير ناصر
فيحكم من منا الشقيّ ومن هدِي
أغاظك منّي شهرة ومحبة
من الناس أولتني قلادة سؤدد؟

---

(١٧) مصطفى السباعي: هكذا علمتني الحياة، ص١٩٥.

لعـمـرك ما ذاك الـذي قد أهـاب بي
إلـى دعـوة الإصـلاح في ظل أحـمـد
ولـكـنـه الإخـلاص والـعـلم والـظمـا
وطـول عنـاء الأمس واليوم والـغـد
أبى الـمـجـد أن يعـنـو لكـل مضـلّلٍ
تسـيِّره الأهـواء خبـطاً بفـدفـد[١٨]
فإن تكـن الأيام أودت بصـحـتـي
وعـاقت خطى عزمـي بكـل مسـدَّد
فمـا كنـت خواراً ولا كنـت يائـسـاً
ولـسـت بشـاوٍ في فراشـي ومـقـعـدي
سأمشـي إلـى الغـايات مشي مكـافـحٍ
ألـوذ بعـزِّ الله من كل معـتـدِ
وأحـمـي لواء الـحـق من أن يدوسـه
طغـاة غدوْا حربـاً على كل مرشـد
فمـن ساءه عزمـي على الـسـير إنـني
إلـى الله ماضٍ رغـم أضـغـان حسَّـدي
وإن يأْس أحـبـابـي عليَّ من الـردى
لطول السُّرى فالموت في الحق مسعدي

---

(١٨) الفرفد: الصحراء الواسعة.

«وداع راحل»[١٩]

أهـاجَـكَ الـوجـدُ أم شاقـتـك آثـار
كانـت مغـانـي نعـمَ الأهـل والـدار
ومـا لعـينـك تبـكـي حُرقـةً وأسـىً
ومـا لقـلبـك قد ضجّـت به الـنـار؟
على الأحـبـة تبـكـي أم على طللٍ
لم يبـق فيه أحـبـاء وسـمّـار
وهـل من الـدهـر تشكـو سوء عشرتـه
لم يوف عهـداً ولـم يهـدأ له ثار؟
هيهـات يا صاحـبـي آسـى على زمـن
ساد الـعـبـيد به واقـتـيد أحـرار
أو أذرف الـدمـع في حب يفـاركـنـي
أو في الـلذائـذ والآمـال تنـهـار
فمـا سبـتـنـي قبـل الـيوم غانـية
ولا دعـانـي إلـى الـفـحـشـاء فجّـار
أمَـتُّ في الله نفـسـاً لا تطاوعـنـي
في المكـرمـات لهـا في الشـر إضـرار
وبـعـت في الله دنـيا لا يسـود بهـا
حق ولا قادهـا في الـحـكـم أبـرار
وإنـمـا حَزَنـي في صبـية درجـوا
غفـلٍ عن الـشـر لم توقـد لهـم نار

(١٩) مجلة حضارة الإسلام ـ السنة الخامسة عام ١٩٦٤ ـ الأعداد ٤، ٥، ٦، ص٥١.

قد كنت أرجو زماناً أن أقودهم
للمكرمات فلا ظلم ولا عار
والآن قد سارعتْ دربي إلى كفن
يوماً سيلبسه برٌّ وجبّار
بالله يا صبيتي لا تهلِكوا جزعاً
على أبيكم طريقُ الموت أقدار
تركتكم في حِمى الرحمن يكلؤكم
من يهده الله لا توبقْه أوزار
وأنتم يا أُهيلَ الحي صبيتكم
أمانة عندكم هل يُهمل الجار؟
أفدي بنفسيَ أمّاً لا يفارقها
هَمٌّ وتنهار حزناً حين أنهار
فكيف تسكن بعد اليوم من شجن
يا لوعة الثكل ما في الدار ديّار
وزوجةً منحتني كل ما ملكت
من صادق الودّ: تحنان وإيثار
عشنا زماناً هنيّاً من تواصلنا
فكم يؤرق بعد العزّ إدبار
وإخوةً جعلوني بعد فقد أبي
أباً، لآمالهم روض وأزهار
استودعُ الله صحباً كنت أذخرهم
للنائبات لنا أنس وأسمار
الملتقى في جنان الخلد إن قُبلت
منّا صلاة وطاعات وأذكار

مكتبة الدكتور السباعي:

كان لدى الدكتور السباعي رحمه الله مكتبة ضخمة في بيته بدمشق، تحوي الكثير من الكتب النادرة في شتى المعارف والعلوم وخاصة علوم الفقه.. وكان ممن أشرف على المكتبة وعلى تصنيفها بعد وفاته، الدكتور موفق دعبول، والأستاذ محيي الدين قضماني، بإشراف الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري، الذي انفرد بالاشراف على إتمام العمل.

وكان السباعي قد أوصى بأن تهدى مكتبته إلى مكتبة جامعة دمشق بعد وفاته.. إلا أن ناظر الوصي الشيخ مصطفى الزرقا لم ينفذ الوصية بحجة أنها لا تستند إلى أي أوراق أو مستندات مكتوبة تثبت الوصية أو تدعمها..

وقد اقترح الأستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة أن يشتري الأستاذ زهير الشاويش المكتبة بسعر يحدد من قبل خبيرين (الأستاذ عبدالرحمن الباني وآخر)، واشترطوا أن تبقى المكتبة في مكان واحد وتنسب للدكتور السباعي. وقد وافق الأستاذ زهير على ذلك.

وكان أن عُيّن الأستاذ الزرقا في موسوعة الفقه الإسلامي في الكويت، فاتصل بالجهات المسؤولة هناك واتفق معهم على بيع المكتبة لهم، وطلب من دمشق شحنها وقد كان.. ودفع للورثة مبلغ خمسة وثلاثين ألف ليرة سورية.. واحتج الأستاذ بسام الاسطواني على هذا البيع ـ وكان يعمل أيضاً بالموسوعة ـ لأن المكتبة ضاعت ضمن الكتب الواردة للموسوعة.

وكانت إحدى أخوات السباعي مع شقيق لها قد أبدت رغبتهما للأستاذ زهير في أن تبقى المكتبة ضمن حصة والدتهم ـ التي لم تكن

متوفاة ـ وأن لا حاجة لبيعها، ووافق الأستاذ زهير إلا أن هذا الأمر لم يتم[٢٠]. .

ولعل الأستاذ الزرقا قد اجتهد في أمر المكتبة ورأى أن تكون في الكويت ليستفاد منها في الموسوعة الفقهية التي تبنّتها وزارة الأوقاف الكويتية.

(٢٠) هذه المعلومات مصدرها الأستاذ رضوان دعبول عن الأستاذ زهير الشاويش بمكالمة هاتفية تمت بينهما في عمان صباح يوم الجمعة ١٩٩٣/٨/٢٧.